التجديد في العلوم الشرعية ضوابط...ومعالم (تفسير الفخر الرازي انموذجاً)

أ.م.د. رحاب نذير الصفار
كلية الإمام الأعظم الجامعة / نينوى
rehabalsafar@yahoo.com

تاريخ النشر :2023/6/30

تاريخ الاستلام: 2023/11/28 **تاريخ القبول: 2024/2/21**

DOI:

الملخص :

التجديد في العلوم الإسلامية يعتمد على تحديث وتطوير المفاهيم بمراعاة الضوابط الشرعية والأصول الدينية، والفخر الرازي، كعالم إسلامي، قدم للحضارة الإسلامية والتراث الإنساني مجموعةً ضخمةً من المؤلفات والرسائل في شتى العلوم المعروفة في زمانه وقدم تفسيرات للقرآن الكريم تأخذ في اعتبارها السياق الاجتماعي والعلمي للعصر وسعى إلى مواكبة التطورات وتجديد الفهم الديني بروح من التسامح والاحترام للعلوم الحديثة. فالإمام الرازي كان له دور مهم في التجديد في العلوم الإسلامية، وخاصة في تفسير القرآن"، وتميز تفسيره بالتأكيد على استخدام العقل والمنهج العلمي في فهم النصوص القرآنية، مع التفاته للسياق التاريخي واللغوي. كما سعى إلى ربط المعرفة الدينية بالعلوم الطبيعية والفلسفية، مما يعكس روح التجديد والتفتح في تفسيره.

الكلمات المفتاحية: التجديد، ضوابط، معالم، تفسير، الرازي

Innovation in Sharia Sciences (controls and landmarks) Tafsir Al-Fakhr Al-Razi as modal

A.M.Dr. Rahab Nazir al-Saffar
The University College of Imam Al-Azam / Nineveh

Abstract:

Renewal in Islamic sciences depends on modernizing and developing concepts by taking into account legal controls and religious principles. Al-Fakhr Al-Razi, as an Islamic scholar, provided Islamic civilization and human heritage with a huge collection of works and treatises in various sciences known in his time and provided interpretations of the Holy Qur'an that take into account the social and scientific context of the era and sought to Keeping pace with developments and renewing religious understanding in a spirit of tolerance and respect for modern science. Imam Al-Razi had an important role in the renewal of Islamic sciences, especially in the interpretation of the Qur'an. His interpretation was distinguished by its emphasis on the use of reason and the scientific method in understanding the Qur'anic texts, while paying attention to the historical and linguistic context. He also sought to link religious knowledge with the natural and philosophical sciences, which reflects the spirit of Renewal and openness in its interpretation.

Key words : renewal, controls, landmarks, interpretation, Al-Razi

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لاإله إلا الله الرحمن الرحيم خلق فسّوى، وقدّر فهدى، وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبد الله ورسوله أرسله ربه رحمة للعالمين، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلى اله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد:

ويسعدني أن أشارك معكم هذا الحوار البنَّاء، وذلك لمدارسة بعض الأطروحات المعاصرة في الفكر الإسلامي، وكيفية معالجة نصوص الشريعة الغراء لها، وبيان قدرة تلك النصوص على العطاء الذي لا يُحدُّ بحدود الزمان أو المكان؛ لأنه كلام من خلق الناس وهو اللطيف الخبير، فهو – الله سبحانه وتعالى – شرع للناس على ألسنة الرسل، وما جاء في الكتب الإلهية الحقة التي تنزلت على أنبياء الله ورسله منذ أول نبيٍّ، ومرورًا بموسى وعيسى، وختامًا بأخيهم سيدنا محمدٍ – صلى الله عليهم وسلم –

لقد شرع لهم علاجًا ناجعًا لسائر الأدواء التي تحل بالبشرية، وما يصلح لأن يكون تشريعًا مواكبًا لأهل كل عصر ومصر؛ لأنَّ شرع الله هو النور الذي يُضئ للناس دياجير الظلام، ولأنَّ المناهج التي أتى بها الرسل تخرج من مشكاةٍ واحدةٍ: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } [الشورى: 13].

هذا في أُصول العقائد والأخلاق، أمَّا في غيرهما من العبادات والمعاملات والآداب والفضائل، فلكلّ نبيّ أرسله الله إلى قومه شرع ومنهاج: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة: 48].

ولمَّا كانت شريعة الإسلام التي حمل لواءها النبي العربي سيدنا محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – شريعةً شاملةً جاءت إلى الناس كافةً متضمنةً ما كان قبلها من الشرائع، ومهيمنةً عليها هيمنة تصديقٍ وتصحيحٍ واستيعابٍ لكل ما يعنُّ للبشرية من قضايا وأحداث إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك من منطلق كونها الرسالة الخاتمة لسائر رسالات السماء إلى الأرض.

ويؤكد ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – ويجليه في حديثه:«**مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**»[(1)].

ان هذا البحث ينصب على بيان كون شريعة الإسلام أتت نصوصها صالحة لكل زمان ومكان، وموائمة لمصالح البشرية إلا أن تلك الصلاحية، وهذه المواءمة التي تتسم بها نصوص تلك الشريعة خاصة في الجوانب التشريعية، مع الأخذ في الاعتبار

أن العقائد وأصول الأخلاق من المسلمات الثابتة التي لا يمكن لكائن من كان أن يدعي الاجتهاد فيها أو القرب من نصوصها.

إنما كلامنا عن النصوص المتعلقة بأمر التشريع الذي يحتاج إليه بنو الإنسان، وكيفية تأويل هذه النصوص ومدى تفسيرها، ومعرفة الآثار المترتبة على هذا التفسير في مسايرة الحوادث والقضايا التي تقع للناس في أي عصر.

نحن لا نمانع من إعمال النظر والتأمل الصادق في تلك النصوص لاستنباط فقهٍ جديدٍ يُعالج نوازل الناس إيمانًا منا بأنَّ كلمات الله اللامتناهية، وما تضمنته من أسرار ما لها من نفاد، وأنَّ كلام سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي أُوتي جوامع الكلم، وكانت وظيفته البيان، لكن عدم الممانعة منا في النظر إلى النصوص الشرعية إنما تعطى لمن يملك أهلية النظر، وتتوفر لديه أدوات الاجتهاد.

وهذا أمرٌ لا يتحقق إلا بالقيام على عدة ضوابط لا بد من بيانها بعد التسليم عندنا كمسلمين بصحة المعتقد، ولزوم سنة الدين، وعدم اتباع الهوى، ومن هذه الضوابط:

(1) الالتزام بأصول اللغة ومعانيها:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ولسانهم ، فيجب أن يفسر اللفظ بحسب ما تدل عليه اللغة العربية واستعمالاتها، وما يوافق قواعدها، ويناسب بلاغة القرآن المعجز.

ولابد أن يضع المفسر في اعتباره أن في ألفاظ القرآن ما جاء على سبيل الحقيقة، ومنها ما جاء على سبيل المجاز، ومنا ما هو مشترك بين أكثر من معنى، واختيار أحد المعاني يحتاج إلى دقة وتأمُّل لكتاب الله.

وينبغي على المفسر أن يتنبه إلى أن اللغة التي يعتمد عليها ويرجع إليها ويأخذ بها هي اللغة المعروفة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، لا بالدلالات الحادثة بعد ذلك، فلا يجوز أن نحكم هذه الدلالات الجديدة في فهم القرآن.

وينبغي أن يعلم أن الأصل حمل الكلام على الحقيقة، ولا يعدل عنها إلى المجاز إلا بقرينة دلالة معتبرة من قرائن المجاز الثلاث: العقلية، والعرفية، واللفظية.

من هنا عني علماؤنا بالتأكيد على أن فهم اللغة سبيل إلى فهم القرآن, فيرى ابن جرير الطبري - رحمه الله- أن اللغة وفهمها شرط لفهم القرآن الكريم, ولا يمكن أن يفهم بالتقصير فيها, فيقول وهو يتحدث عن أهمية اللغة: «وأول ما نبدأ به من القيل في ذلك, الإبانة عن الأسباب التي البداية بها أولى ,وتقديمها على ما عداها أحرى, وذلك البيان عما في آي القرآن من المعاني التي من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان برياضة العلوم العربية, ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقة الطبيعية».(2)

وقد أكد الإمام الزمخشري على ضرورة علمي المعاني والبيان لفهم القرآن فقال في مقدمة تفسيره: «علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه, وإطالة النظر فيه, كل ذي علم, فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام, والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في

صناعة الكلام, وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرِّيَّة أحفظ, والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ, والنحوي وإن كان أنحي من سيبويه, واللغوي وإن يملك اللغات بقوة لحييه, لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق, ولا يغو ص على شيء من تلك الحقائق, إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن, وهما: علما البيان والمعاني». (3)

(2) التمكن من مسائل علم الأصول

الناظر في القرآن الكريم يجد أنه يمتاز بخصيصتين الأولى: أنه نصٌ موحًى به من عند الله، والثانية: أنه نزل بلسان علابي مبين، فاتخذ من قوانين اللغة العربية وخصائصها أداةً وأسلوبًا للتعبير عن معانيه، ومن ثَمَّ اقتضت طبيعة القرآن إعمال العقل في التفسير والاستنباط، وهذا يستلزم وضع القواعد والضوابط المشتقة من دلالات اللغة ومقاصد الشرع في التفسير والاستنباط؛ ولذا كانت حاجة المفسر إلى علم الأصول مدخلًا إلى فهم القرآن، يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله- : « إن هذا الكتاب لابد من القول فيه ببيان معنى واستنباط حكم وتفسير لفظ وفهم مراد»(4) فلابد للمفسر من الوقوف على أساليب القرآن في التعبير، وما فيها من حقيقة ومجاز، وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين، ومنطوق ومفهوم، وذلك كله متوقف على دراسة مستفيضة لعلم الأصول.

(3) **مناسبات النزول**

القرآن الكريم هو الكلام العربي الذي سما- كما قلنا آنفا- إلى أعلى درجات البلاغة.

والبلاغة: هي مطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال.

فلا بد لمعرفة معاني القرآن على الحقيقة من معرفة هذه المقتضيات والمناسبات التي اقترن نزول الآيات بها.فمناسبات النزول، بما أنها مقتضيات الأحوال التي نزل بعض آيات القرآن الكريم استجابة لها، تلقي ضوء على وجوه الإعجاز البياني. فضلا عن أنها من عناصر الاسترشاد والاستيضاح التي تعين على فهم المراد من الآية الكريمة. ومن ثمّ .. قرر الشاطبي أن معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان (الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب) إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب، من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو المخاطب أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين .. وغير ذلك، فلفظ الاستفهام- مثلا- واحد، ولكنه يختلف إلى: حقيقي، وإنكاري، وتوبيخي، وتعجبي. ولفظ الأمر واحد، ولكنه يختلف معناه إلى ما هو: للطلب، أو للتهديد، أو للإباحة.

وليست القرائن الدالة على هذا كلها في القرآن، بل أكثرها قرائن خارجية مستوحاة من أسباب النزول، ومقتضيات الأحوال.

وتوضيح هذا الذي يقوله الشاطبي يتجلى في أن كلا من علم المعاني والبيان موضوعة مسائلهما للاقتدار على معرفة معاني القرآن، والاستشراف على مقاصده، فضلا عن معرفة كلام العرب، والوقوف على أغراضها في مخاطباتها.

وإنما كان علم المعاني والبيان بهذه المثابة؛ لأن فقه مسائلهما يدل على الأسباب التي تجعل الكلام مطابقا لمقتضى الحال.

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هو" البلاغة". ومن ثمّ .. فلا يفهم الكلام الذي يجيء على نهج البلاغة إلا بمعرفة الحال التي صدر كلام البليغ قاصدا لمطابقتها، وذلك .. أن الكلام يكون واحدا، ثم يختلف باختلاف الخطاب المستعمل فيه، وباختلاف المتكلم، وباختلاف السامع كذلك.

فمعرفة مقتضيات الأحوال أمر لا بدّ منه في معرفة معاني القرآن العظيم المعجز، وإدراك مقاصده البعيدة. وما أسباب النزول إلا إعلام بالحال والمناسبة التي نزلت فيها الآيات الكريمة، فهي كاشفة لمعاني القرآن، معينة على بيان مقاصده، وصحة دلالته، وتفهّم أسرار بلاغته.

الأمر الثاني- وهو مبني على الأول: أن الجهل بأسباب النزول موقع في الجهل بمعاني القرآن، ومؤدّ إلى الشّبه والخلاف في معناه(5).

(4) مراعاة السياق

من الضوابط المهمة في حسن فهم القرآن وصحة تفسيره: مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولا تقطع عما قبلها وما بعدها؛ حتى لا تفيد معنى أو تؤدي حكما غير مقصود من التنزيل.

ولا شك أن مراعاة دلالة السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، والقطع بعدم احتمال غير المراد، فعند قوله تعالى : {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }(6) يدلنا السياق على أن المراد به الذليل الحقير؛ حيث وردت الآية في معرض ذكر العذاب وما ينتظر أهل النار والعياذ بالله.

هذه أهم القواعد التي تضبط العقل من الزيغ والهوى, وتعصمه من الوقوع في مهاوي الفكر ومحظورات التفسير, والتي إن عرفها المفسر والقارئ ليتجنبها نجا من الوقوع في التفسيرات الخاطئة.

أثر تلك الضوابط في استنباط الأحكام:

إنَّ الذي ينظر في النصوص الشرعية ممن عنده أهلية الاجتهاد والنظر، يكشف اللثام بتأمله الصادق عن فقهٍ جديدٍ يُضاف إلى ما تركه الأقدمون ممن قدحوا زناد الفكر في هذه النصوص فاستخرجوا منها ما كان الناس في حاجةٍ إليه في أُمورهم

التعبدية، والعادية، وفي معاملاتهم، وما يعنُّ لهم من أمر المعاش كي يكونوا على بصيرةٍ من أمر الشرع وحكمه في ذلك.

ولمَّا كانت مصالح الأحياء في الحياة متجددة غير ثابتة، ولا متوقفة، كانت حاجتهم أجدُّ وأسرع إلى معرفة الأحكام الشرعية فيها، وهذا أمرٌ راعاه التشريع حتى زمن تنزله؛ إذ الحوادث والقضايا والوقائع لم تحدث كلها جملةً واحدةً، بل حدثت في أزمنة متعددة، وأماكن مختلفة، ومن ثم كان التدرج في التشريع هو سنة ملازمة له.

وكلما أراد المجتهدون إنزال الأحكام الشرعية على واقع الناس في قضاياهم الجديدة احتاج ذلك منهم إلى إعمال النظر في النصوص، وهذا أمرٌ تنبَّه له الفقهاء، ومن ثم قرروا بأنَّ الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، وأنَّ مراعاة عادات المستفتي وأحواله أمرٌ معتبرٌ شرعًا.

والناظر في نصوص القرآن الكريم يجد دلالاتها تتسم بالمرونة، فكما هو مقررٌ في علم أصول الفقه: " ما من عامٍّ إلا وخُصِّص" أهـ[7]. أي كل حكمٍ عامٍّ مستغرق ظاهره لجميع الأفراد إلا ودخله التخصيص؛ لأنَّ دلالته ظنية، ومن ثم تأتي الأدلة المخصصة فتدخل على الحكم العام فتنزع منه بعض أفراده، وتُبقي له البعض الآخر، وهذا هو المقصود من قول أهل الأصول:" التخصيص هو قصر العام على بعض أفراده" أهـ[8].

ومن هنا قرر علماؤنا صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

يقول الطاهر بن عاشور: " وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله؟ وهل يتحقق قول علمائنا «إن القرآن لا تنقضي عجائبه» إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرًا في ورقات قليلة". أهـ[9].

وكذلك السنة النبوية المطهرة الثنائية النسبة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصالحة للحجية كثيرة المعاني، وإن كانت قلية المباني، فعطاؤها دائم، وأسرارها لا منتهى لها؛ لأنَّ المتكلم بها– صلى الله عليه وسلم – أُوتي جوامع الكلم.

ومن ثم فكما تستنبط الأحكام من منطوق الكتاب والسنة، كذلك تؤخذ من مفهومهما سواء كان موافقة أم مفهوم مخالفة، أو كان مأخذه من قبيل فحوى الخطاب أو من قبيل لحن الخطاب، ولكلٍّ من المفهومين اعتباره في استنباط الأحكام.

أفلا يُعدُّ ذلك جانبًا من جوانب التجديد الذي يثري الفكر الإسلامي، ويُساير مستجدات العصر ؟

وكما يُؤخذ من الكتاب والسنة بطريق العبارة، يؤخذ منهما بطريق الإشارة، وكما يُستنبط منهما بطريق النص، يُستنبط منهما بطريق المفسَّر، وكما يُستفاد منهما بطريق الظاهر، يُستفاد منهما بطريق المؤول.

ألا ترى معي إلى أخذ العلماء المجتهدين من تشبيهات القرآن الكريم والسنة استدلالًا على مشروعية كثيرٍ من الأشياء.فقد استدلوا على مشروعية الوكالة بقوله – تعالى: { فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ}[10]، واستدلوا على مشروعية الضمان بقوله – تعالى-: { قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ}[11]، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم-: « **الزَّعِيمُ غَارِمٌ**»[12].

واستدلوا على مشروعية القياس بقوله – تعالى-: { إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً}[13].

أولا ترى - كذلك – أخذهم الحكم بطريق المعنى المجازي نحو– تعالى - : {وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ[14] ، ولذلك قيل: «سل الأرض فقل: مَنْ شقَّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارًا، أجابتك اعتبارًا»[15].

وكذلك أخذهم من طريق تنزيل الحال منزلة المقال لأنَّ جميع هذا ممَّا قامت فيه الدلالة العرفية مقام الوضعية، واتحدت في إدراكه أفهام أهل العربية، فان من المدلولات التبعية.

ومن هذه القواعد التي قررها العلماء؛ فإنَّ التجديد أمرٌ مستساغ، وباب الاجتهاد مفتوحٌ لكلِّ مَنْ يملك أدواته، إلا أنَّ للتجديد ضوابط لا بُدَّ من مراعاتها، ومعالم لا بُدَّ من إبرازها.

ومن أمثال الفخر الرازي الذي يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: { وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} : " وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجهًا في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، وإلا لصارت الدقائق التي يستنبطها المتأخرون في التفسير مردودة، وذلك لا يقوله إلا مقلد خُلف – بضم الخاء".أهـ[16].

وهل استنباط الأحكام التشريعية في القرآن الكريم في خلال القرون السابقة من قرون الإسلام إلا من قبيل التفسير لآيات القرآن التي لم يسبق تفسيرها من قبل ذلك؟

وهذا الإمام الشافعي كما جاء عنه في الرسالة يقول: " طلبت دليلًا على حجية الإجماع، فظفرت به في قوله تعالى: { وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً } [النساء/115].

تأويلات عبثية بدعوى التجديد ودفعها:

الزعم بتاريخية النص القرآني:

هذه التاريخية التي قال بها فلاسفة التنوير الغربي دعا العلمانيون إلى تطبيقها على القرآن الكريم وأحكامه، فهم يريدون أن يبقى القرآن حبيساً لما سَمَّوه الظروف الموضوعية التاريخية، ولا يتعداها إلى ظروف جديدة.

وانطلقوا في دعواهم تلك من ثلاثة أسس:

أولها: المهم في فهم النصوص ما يحقق مقاصد الوحي، ولذلك ينبغي أن يكون الفهم مرتبطاً مباشرة بالمقصد.

ثانيها: اختصاص النص بظرف نزوله وأسبابه مما يتيح أن يكون معناه محدوداً بزمن تلك الظروف والأسباب.

ثالثها: سلطان الواقع على العقل في فهم النصوص القطعَّية، فهذا الواقع الذي يعبَّر عنه غالبا بروح العصر، وما ساد فيه من أوضاع وقيم جديدة ينبغي أن يكون محدّدًا لأوجه الفهم في تلك النصوص، وهذا ما لخصه أحدهم في قوله: فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع[17].

ولا شك أن التاريخية المزعومة تعارض كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين، وكون القرآن الكريم كلام الله، وأنه محفوظ بحفظه إلى يوم القيامة.

أسباب النزول وتاريخية النص:

يقول بعض الحداثيين ممن جاء على قدم أصحاب تاريخية النصوص المقدسة: إن وحي القرآن والسنة كان نتيجة لحراك الواقع الماديّ على الأرض فهو الذي يستدعيه استدعاء السبب مسبّبه، والعلة معلولها.

يقول صاحب كتاب "مفهوم النص": إن أسباب النزول من أهم العلوم الدالة والكاشفة على علاقة النصّ بالواقع، ثم أبدى ملاحظتين ترتبطان بهذا الباب:

أولهما: تأكيده على كثرة الآيات المرتبطة بأسباب النزول، ومستنده في ذلك الدراسات الواقعية الميدانية التطبيقية.

والثانية: تقوم على أساس اكتشاف الأسباب من خلال نفس النص القرآني من غير العودة للروايات[18].

ونقول : إنَّ الدراسات الواقعية الميدانية التطبيقية تؤكد عكس دعواه، فهي تؤكد أن أكثر آيات القرآن قد نزلت ابتداء دون سبب نزول، فآيات التوحيد والأخلاق لم ترتبط في نزولها بسبب من الواقع.

أما الآيات التي نزلت على سبب - وهي قليلة- فهي في الأعم الأغلب آيات التشريع، وعلة ذلك: أن الأحكام التشريعية تكون نظرية وذلك بمقدار بعدها عن ظروفها وعن ارتباطها بأسبابها العملية، ولن تجد وسيلةً إلى ترسيخ الأحكام في

الأذهان، وتنبيه الأفكار إلى مدى صلاحها وقيمتها خيرا من أن تعرضها على الناس في مجال تطبيقها وتقديمها عند الحاجة إليها.

ومن ثم قدم القرآن أحكامه التشريعية منثورة على الوقائع والأحداث حتى تمتزج هذه الأحكام مع الوقائع وتغرس في تربة التطبيق فور ظهورها فيكون ذلك أدعى لحفظها، وأبين لقيمتها وصلاحها.

ومع ذلك فإن قاعدة العبرة بعموم اللفظ "تنسف من الجذور ربط القرآن بالواقع، ولا يمكن القول بحالٍ من الأحوال بأنَّ القرآن وحيٌ من الله، وأنه جزءٌ من الواقع.

فإمّا ألا يكون القرآن وحيًا وتنحصر المناقشة حينئذ في دعوى بشرية القرآن أو ماديته لا فيما يؤسس على هذه الدعوى، وإلا كانت مناقشة في النتيجة، مع أن المقام مقام تصحيح المقدمات وامتحانها أولا.

وإما أن يكون وحيًا إلهيًّا، وحينئذ لا مفر من القول بتأثير القرآن في الواقع، وبأن يكون فاعلاً لا منفعلا، ومن ثم فالقرآن يجري كما تجري الشمس والقمر، أو قل يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض.

وسبب النزول لا يقوى على تخصيص النص العام، أو تقييد المطلق، وبعبارة أخرى: المورد لا يخصّص الوارد.

وأمَّا دعواهم بأنَّ ما يسمَّى بأسباب النزول يتناقض مع ما يعتقده المسلمون من أزلية القرآن، ذلك بأنّ القول بالأزلية يعني قدم القرآن، ومعنى ذلك أنه بكل كلماته لا علاقة له بالأحداث التي كانت تقع إبان نزوله ومن ثم فإمّا أن تبطل عقيدة المسلمين في أزلية القرآن، وإمّا أن يسلموا بأنَّه لا شيء اسمه أسباب النزول.

وسبب هذه الدعوى ترجع إلى عدم فهمهم لمصطلح أزلية القرآن، الذي يعني به المسلمون أنَّ القرآن كلام الله، وكلام الله صفته، والله أزلي فكلامه كذلك أزلي، وإلا اتصف في الأزل أنه غير متكلم.

علة مشروعيّة الحجاب من وجهة نظر أصحاب التأويلات العبثية:

زعم بعضهم أنَّ الله – سبحانه – ما شرع الحجاب للنساء إلا من أجل تربيتهنَّ وتأديبهنَّ.

ويكفي في ردّ هذا الزعم ونقضه بيان الله الحكيم في آية الأحزاب يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً : [الأحزاب: 59].

فإنَّ الناظر في هذه الآية الشريفة يدرك من أول وهلةٍ أنَّ قوله سبحانه : { ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ } هو علة الأمر بالحجاب، كما أنَّ المتأمل يجد أنَّ الآية وجهت الخطاب لسيدنا رسول الله ρ ليأمر أزواجه وبناته- وهن العفيفات الكريماتا لطيبات-بالحجاب.وفي هذا أبلغ ردٍّ على أنَّ الحجاب لم يُشرع لتربية النساء كما يدعي هؤلاء.

وفق الله مؤتمركم هذا، وأيّد القائمين عليه، والمشاركين فيه من العلماء والباحثين والمفكرين.

تعريف بالرازي وكتابه، ويتضمَّنُ الأمور الآتية:

أولاً: التعريف بالرازي:

وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين الرازي الطبرستاني التيمي البكري القريشي، وكان يكنى بأبي عبد الله، وأبي الفضل، وبأبي المعالي، كانت ولادته في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة (544هـ)[19].

كان والده (ضياء الدين عمر) إمامَ وخطيبَ الرّي واحداً من أئمة الإسلام، وقد أشار ابن أبي أُصيبعة إلى هذا فقال: "كان الشيخ الإمام ضياء الدين عمر والد الإمام فخر الدين من الرّي، وتفقَّه واشتغلَ بـ(علم الخلاف والأصول) حتى تميَّزَ تميُّزاً كثيراً وصار قليلَ المثل، وكان يدرّس بالريّ ويخطب في أوقات معلومة هنالك، ويجتمع عنده خلقٌ كثيرٌ لحسن ما يورده وبلاغته، حتى اشتهر بذلك بين الخاصِّ والعامِّ في تلك النواحي"[20]، وتربّى الرازي منذ طفولته في أحضان والده ضياء الدين، ودرس عليه، وكان متأثراً به، وفي أكثر الأحيان كان موافقاً لآراء والده وينقل عنه، وكان معجباً بآرائه[21].

وقام فخر الدين بعدة رحلات كلَّفته سنين طويلة، فبدأ الرازي رحلته بالتوجه إلى خوارزم، بعدما مهر في العلوم؛ فجرى بينه وبين المعتزلة مناظرات عنيفة في المذهب والاعتقاد، فأُخرج منها[22]، ثمَّ رحل إلى بلاد ما وراء النهر قاصداً بني مازة ببخارى في حدود سنة (580هـ)[23]، وفي بخارى جرت له مناظراتٌ مع الرضي النيسابوري الفقيه الحنفي[24]، والركن القزويني الشافعي(ت623هـ) [25]، ذكرت تفاصيلها في كتابه (مناظرات فخر الدين الرازي)[26]، ثم ذهب إلى سمرقند وبلاد الهند، ثم عاد إلى بخارى[27]

وكان في كل هذه البلاد موضع الاحترام والإكبار, ثم اتصل بالسلطان الكبير خوارزم شاه[28] علاء الدين محمد بن تكش، ونال منه أسمى المراتب، واستقرَّ عنده بخراسان وأقام بهراة[29]، وكان يلقّب شيخ الاسلام[30]، وفي مدينة (هراة) ينتهي طواف الرازي، بعد حلٍّ وترحال دام أكثر من عشرين سنة[31].

وتدلّ مؤلَّفات الإمام الرازي على أنه كان موسوعة علمية بشرية، وكلّها ماتعة، ورُزق فيها سعادة عظيمة، وانتشرت في الآفاق، وأقبل النّاسُ عَلَيها[32]، وقد ذكر بعض العلماء أنَّ مؤلَّفات الإمام الرازي تبلغ أكثر من مائتي مصنَّف[33] في مختلف أنواع العلوم الشرعية والعقلية والتطبيقية، ولقد كان من أهمِّ هذه المصنَّفات تفسير القرآن الكريم المسمَّى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)[34].

ولقد قدم الرازي للحضارة الإسلامية والتراث الإنساني مجموعةً ضخمةً من المؤلَّفات والرسائل في شتى العلوم المعروفة في زمانه، غير أن أكثر هذه المؤلفات لم تصل إلينا، وبعضها لم تزل مخطوطة تنتظر الطبع، وجزءاً منها قد طبع[35].

ولقد قام الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد باستقراء جميع مصنَّفاته ومؤلَّفاته في كتابه (الرازي مفسِّراً) معتمداً على المؤلفات التي سبقته، قال الدكتور محسن عبد الحميد: "وممن جمع تراث الرازي وعرض معلومات جيدة مفيدة حولها الأستاذ جورج قنواتي[36]، وذلك في البحث الذي كتبه عن مؤلفات الرازي"[37].

إنَّ الإمام الرازي شافعيُّ المذهب، وهو يرجح فقه الإمام الشافعي ويروّجُ له بقوة في تفسيره[38]، وهو متكلِّم كبيرٌ من متكلِّمي الأشاعرة[39]، ويعتبر نفسه من الصوفية، و صرح بهذا في بداية سورة الكهف[40].

ولكونه أشعرياً يدخل معارك كلامية مع المعتزلة في تفسيره، وسلاحه فيها دراسته المتينة لمختلف اتجاهاتهم، وآراء علمائهم، وهضمه للفلسفة والمنطق وعلم الكلام[41].

ويقول الدكتور محسن عبد الحميد: "وهو مع إيمانه في قضايا الاعتقاد بما كان عليه متكلموا الأشعرية، ورده وتفنيده لأسس المعتزلة، يقف موقفاً متزناً من المعتزلة في القضايا الخطيرة، فهو يدافع عنهم أحياناً، ويوجِّهُ أقوالهم، لا بل في أقواله ما يدلُّ على أنَّه يُجِّوزُ أن يكون معهم بعضُ الحق"[42].

ونلاحظ في ردوده على المعتزلة إطالة في عرض مذهبهم قبل الرد عليهم؛ وذلك لأنّه كان يريد إثبات اطلاعه على آرائهم، وأنه بعيدٌ عن التعصُّب، وتشويه كلامهم، فنقل كلامهم بالتفصيل، وعرض أدلتهم حتى لا يعاب على ردِّها وتفنيدها قبل ذلك[43].

وبعد حياة حافلة بالعلم وخدمة الدين انتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى جوار ربه يوم الاثنين سنة ستٍّ وستمائة[44]، وقد قيل إنّه مات مسموماً، وأنَّ الفِرَقَ التي كان يناظرها قد دسَّت له مَن سقاه السم[45]، كما أوصى بأن يبالغ في إخفاء قبره ويدفن على شرط الشرع[46]، والسبب في إخفاء قبره يعود إلى أنَّه (رحمه الله) خاف أن تعبث الكرَّامية بجثته فتنبشها، وتمثِّلُ بها[47].

ثانياً: اكتشافات الإمام الرازي ووصف تفسيره مفاتيح الغيب ودوره في التجديد.

أولاً: اكتشافات الإمام الرازي

لقد أهمل التاريخ الإمام فخر الدين الرازي (رحمه الله) هذا العالم العبقري المبدع الذي تفنَّن في كل العلوم، فالإمام الرازي يعدُّ أولَ من قال في المشرق أنَّ علم المنطق هو علمٌ قائمٌ بذاته ولم يلحقه بغيره من العلوم، كما أنَّه أوّلُ مَن أوجد في أبحاثه الترتيب وفق قواعد منطقية مُتسلسلاً من المقدمات حتى استنباط النتائج، وقسَّم بحوثه إلى أبواب، والأبواب إلى فصول، والفصول إلى مسائل، فأتى بكتبه بما لم يسبق إليه[48].

وأسَّس الإمام الرازي (علم الحركة والجذب) وفاقَ من سبقوه في هذا المجال، ومنه استلهم العالم إسحاق نيوتن (ت 1727م) قوانينه الثلاثة الرئيسة في

(علم الحركة) التي ترتكز عليها كلُّ علوم الآلات المتحركة، وهي أيضاً أساسٌ لجميع العلوم الفيزيائية التي تقوم على الحركة، وبهذا يكون الإمام الرازي قد سبق غاليلو ونيوتن بخمسة قرون بالكشف عن (قوانين الجذب والحركة)، وكان للإمام الرازي قدم السبق في (علم الكيمياء) فهو أوّلُ مَن قال إنَّ العناصر الفلزية (الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصين) أجسامٌ ذائبة منطرقةٌ يُسمّونها اليوم في علم الكيمياء (قابلة للطرق والتمدد)، والإمام الرازي أوّلُ مَن اكتشف الفرق بين (قوة الصدمة والقوة الثابتة)، وكان محيطاً بمجمل الحقائق الأساسية للصوت[49]، وهو أوّلُ مَن قال بنظرية الورود بالضوء، وفي حدوث الرؤيا من المبصَرات إلى العين وشرحَ كيفية الإبصار، وردَّ نظرية الشعاع التي كان يعتقد أنّها السبب في حدوث الرؤيا، فقال: إن الألوان لا نراها إذا كانت الأجسام في حالة الظلام[50]، أما في الطب فهو أوّلُ مَن قال بوجود علاقة بين شكل الجمجمة والقدرات العقلية، فأرجع الفروق الفردية إلى اختلاف أحوال الدِّماغ وحدَّدها بثلاثة أحوال، وقد أثبتت صحة هذه النظرية في القرن التاسع عشر الميلادي على يد مجموعة من العلماء الألمان[51].

ثانياً: وصف تفسيره مفاتيح الغيب

يُعدُّ (مفاتيح الغيب) من أطول التفاسير القديمة التي وصلتنا، بل هو من أطول كتب التفسير القديمة والحديثة، وأكثرها تفصيلاً وعرضاً للآراء، ومناقشةً للمعتقدات والمذاهب المختلفة.

إنَّ منهجية الفخر الرازي في التفسير لا نجد لها نظيراً في التفاسير الأخرى، فلقد اعتمد التفصيل إلى أقصى قدر ممكن في كل آية من آيات القرآن الكريم، حيث جزَّأ الآية الواحدة إلى أصغر وحدة كلامية يمكن أن تستقلَّ بالمعنى، وتناولها في عدد من المسائل، ثم يجعل من المسألة الواحدة مباحث لفروع تفصيلية، يعبر عنها تارة (بالأقوال) وأخرى (بالوجوه) وثالثة (بالأمور) وغير ذلك من التقسيمات، وكلُّ قسم من هذه التقسيمات قابلٌ للتفريع والتفصيل[52].

إنَّ التفسير الكبير من التفاسير التي تميَّزت عن غيرها من التفاسير بالأبحاث الواسعة، قال ابن خلكان: (جمع فيه كلَّ غريب وغريبة) [53]، وقال ابن حيّان: (إنَّه جمع في كتابه في التفسير أشياءَ كثيرةً طويلةً)[54].

ومن هذا يتضح أنَّ تفسير الإمام الرازي من التفاسير التي تحتوي على العلوم المعرفية المتنوعة ويُعدُّ مصدراً من المصادر المعتمد عليها، ويتضح أيضاً أنَّ التفسير كلَّه من تأليفه من أوله إلى أخره، وأنَّ فيه كلَّ شيء مع التفسير، ولا غنىً لدارسٍ من الاطلاع عليه والاستفادة منه في فهم كتاب الله تعالى، وهذا التفسير يعدُّ من أهم وأبرز التفاسير التي تؤدي هذه المهمة الفكرية، بل هو في ذروة المحاولة العقلية لفهم القرآن الكريم، فهو وريثٌ لنتاج مدرسة الرأي، مثلما يعدُّ (تفسير الطبري) خيرَ وريث لمدرسة التفسير بالمأثور[55].

وقد طبع في التفسير بولاق من سنة (1278) إلى (1289هـ)، وفي القاهرة سنة (1309هـ)، وطبع أيضاً في القسطنطينية في عدة أجزاء سنة (1307هـ)[56].

ثالثاً: دور الإمام الرازي في التجديد

يعتبر إبداع الإمام الرازي وأسلوبه في البحث ، والجمع بين الفلسفة وعلم الكلام ، أكثر ما يميزه عن السابقين والمعاصرين له وجعله أحد المجددين بالإسلام.

وهو أول من عني بجمع معارف المتقدمين وتلخيصها، وأول من أذاع الطريقة التقريرية الفلسفية في سائر العلوم من تفسير إلى نحو الى بلاغة ، وتجديده ينصب في مجال الإصلاح أكثر من كونه خلق أو اوجد علماً أو فقهاً جديداً، وهو الإصلاح الذي استهدف إعادة توجيه ما بدا من فساد استشرى في المجالات الدينية ، والسياسية والاجتماعية ، والعلمية، فكان له ابعد الأثر على حياة المسلمين من بعده.

إن فضل الإمام الرازي في التجديد الديني لايقل دوره في التطوير العلمي فانه دعا في التجديد لنصرة الإسلام بفكر قائم على الكتاب والسنة الشريفة فهو من أعلام مدرسة الاشاعرة التي جمعت بين العقل والنقل ، ولذا كان مجلسه كما يقول ابن خلكان يحضره أرباب المذاهب والمقالات فكانوا يسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن اجابة، وقد رجع بسببه كثير من الطوائف التي كانت تتحامى التأويل كالكرامية وغيرهم الى مذهب الاشعرية، مما حد من ظاهرة الفرق في عهره[57].

يقول عبد المتعال الصعيدي: ان الرازي شغل في القرن السادس الهجري نفس المكانة التي شغلها الإمام الغزالي في القرن الذي يسبقه اذ تشابها في منهج التجديد الإصلاحي الذي بلغاه بعد تحصيل علمي وفقهي سبق زمانيهما، ثم نحى كل منهما نحو الصوفية في نهاية حياته"[58].

وكان الإمام الرازي يدرك تمام الإدراك بإكثاره من علوم الهيئة والنجوم في تفسيره على خلاف المعتاد، وقد رد على من عاب عليه في هذه الطريقة بقوله:" أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَأَ كِتَابَهُ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ والحكمة بأحوال السموات وَالْأَرْضِ، وَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَيْفِيَّةِ أَحْوَالِ الضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ، وَأَحْوَالِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَذَكَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي أَكْثَرِ السُّوَرِ وَكَرَّرَهَا وَأَعَادَهَا مَرَّةً"[59].

واهتم الإمام بعلم المناسبات ببيانها بين آيات القرآن وسوره ومن يقرأ التفسير يجد أنه يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع البعض وبين السور وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل اكثر، وهذا لا نجده عند المفسرين القدماء والمتأخرين،؛ لأنه يحتاج الى فهم عميق في جعل القرآن الكريم وحدة متماسكة ومترابطة في آياته وسوره من الفاتحة والى الناس[60].

وكان يفسر القرآن على ضوء الدين والعقل وحدهما، دون أن يكون للرأي الفلسفي دخل في شرح النص القرآني وبيان معناه [61].

يتضح لنا أن الإمام الرازي من خلال تفسيره بأنه اتخذ أسلوب النقد في المسائل الفلسفية الفكرية التي تهدم الآراء التي تخالف المذهب السني ويبطلها، ثم ينقح الآراء المتفقة معه وكثيراً مايدعم رأيه بالآيات القرآنية [62].

ومن مظاهر التجديد عند الإمام أيضا كان رحمه الله كثير الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره فهو يجد صلة مابين المستنبط وبين اللفظ القرآني ، وهذا ما نجده في مقدمته حيث قال:" اعْلَمْ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى لِسَانِي فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ الْكَرِيمَةَ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَنْبَطَ مِنْ فَوَائِدِهَا وَنَفَائِسِهَا عَشَرَةُ آلَافِ مَسْأَلَةٍ، فَاسْتَبْعَدَ هَذَا بَعْضُ الْحُسَّادِ، وَقَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْغَيِّ وَالْعِنَادِ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى مَا أَلِفُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّعَلُّقَاتِ الْفَارِغَةِ عَنِ الْمَعَانِي، وَالْكَلِمَاتِ الْخَالِيَةِ عَنْ تَحْقِيقِ الْمَعَاقِدِ وَالْمَبَانِي، فَلَمَّا شَرَعْتُ فِي تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ، قَدَّمْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ لِتَصِيرَ كَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ أَمْرٌ مُمْكِنُ الْحُصُولِ، قَرِيبُ الْوُصُولِ..." [63].

الخاتمة

1. ان النظر الى النصوص الشرعية تعطي لمن يملك أهلية النظر وتتوفر لديه أدوات الاجتهاد وهذا أمرٌ لا يتحقق إلا بالقيام على عدة ضوابط لا بد من بيانها بعد التسليم عندنا كمسلمين بصحة المعتقد، ولزوم سنة الدين، وعدم اتباع الهوى
2. إنَّ التجديد أمرٌ مستساغ، وباب الاجتهاد مفتوحٌ لكلِّ مَنْ يملك أدواته، إلا أنَّ للتجديد ضوابط لا بُدَّ من مراعاتها، ومعالم لا بُدَّ من إبرازها.
3. تدل مؤلَّفات الإمام الرازي على أنه كان موسوعة علمية بشرية، وكلّها ماتعة، ورُزق فيها سعادة عظيمة، وانتشرت في الآفاق، وأقبل النّاسُ عَلَيها.
4. يتضح أنَّ تفسير الإمام الرازي من التفاسير التي تحتوي على العلوم المعرفية المتنوعة ويُعدُّ مصدراً من المصادر المعتمد عليها
5. ذكر بعض العلماء أنَّ مؤلَّفات الإمام الرازي تبلغ أكثر من مائتي مصنَّف في مختلف أنواع العلوم الشرعية والعقلية والتطبيقية، ولقد كان من أهمِّ هذه المصنَّفات تفسير القرآن الكريم المسمَّى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب).
6. قدم الرازي للحضارة الإسلامية والتراث الإنساني مجموعةً ضخمةً من المؤلَّفات والرسائل في شتى العلوم المعروفة في زمانه، غير أن أكثر هذه المؤلفات لم تصل إلينا، وبعضها لم تزل مخطوطة تنتظر الطبع، وجزءاً منها قد طبع .
7. وأسَّس الإمام الرازي (علم الحركة والجذب) وفاقَ من سبقوه في هذا المجال، ومنه استلهم العالم إسحاق نيوتن (ت 1727م) قوانينه الثلاثة الرئيسة في (علم الحركة) التي ترتكز عليها كلُّ علوم الآلات المتحركة، وهي أيضاً أساسٌ لجميع العلوم الفيزيائية التي تقوم على الحركة، وبهذا يكون الإمام الرازي قد سبق غاليلو ونيوتن بخمسة قرون بالكشف عن (قوانين الجذب والحركة).
8. كان للإمام الرازي قدم السبق في (علم الكيمياء) فهو أوّلُ مَن قال إنَّ العناصر الفلزية (الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصين) أجسامٌ ذائبة منطرقةٌ يُسمّونها اليوم في علم الكيمياء (قابلة للطرق والتمدد).
9. الإمام الرازي أوّلُ مَن اكتشف الفرق بين (قوة الصدمة والقوة الثابتة)، وكان محيطاً بمجمل الحقائق الأساسية للصوت هو أوّلُ مَن قال بنظرية الورود بالضوء، وفي حدوث الرؤيا من

المبصَرات إلى العين وشرحَ كيفية الإبصار، وردَّ نظرية الشعاع التي كان يعتقد أنّها السبب في حدوث الرؤيا، فقال: إن الألوان لا نراها إذا كانت الأجسام في حالة الظلام.

10. في مجال الطب أوّلُ مَن قال بوجود علاقة بين شكل الجمجمة والقدرات العقلية، فأرجع الفروق الفردية إلى اختلاف أحوال الدِّماغ وحدَّدها بثلاثة أحوال، وقد أثبتت صحة هذه النظرية في القرن التاسع عشر الميلادي على يد مجموعة من العلماء الألمان.

Conclusion:

1. Looking at the legal texts is given to those who have the qualifications to consider and have the tools of ijtihad. This is something that cannot be achieved except by adhering to several controls that must be clarified after we, as Muslims, acknowledge the validity of belief, adherence to the Sunnah of religion, and not following whims.
2. Renewal is a desirable matter, and the door to ijtihad is open to everyone who possesses its tools. However, renewal has controls that must be observed, and milestones that must be highlighted.
3. Imam Al-Razi's writings indicate that he was a human scientific encyclopedia, all of them enjoyable, and he was blessed with great happiness, and it spread throughout the horizons, and people turned to him.
4. It is clear that Imam Al-Razi's interpretation contains various cognitive sciences and is considered one of the sources relied upon.
5. Some scholars mentioned that the works of Imam Al-Razi amounted to more than two hundred works in various types of legal, rational and applied sciences, and one of the most important of these works was the interpretation of the Holy Qur'an called (Al-Tafsir Al-Kabir or Keys to the Unseen).
6. Al-Razi presented Islamic civilization and human heritage with a huge collection of works and treatises on various sciences known in his time. However, most of these works have not reached us, and some of them are still in manuscript waiting to be printed, and part of them have been printed.
7. Imam Al-Razi established (the science of motion and attraction) more than those who preceded him in this field, and from him the scientist Isaac Newton (d. 1727 AD) was inspired by his three main laws in (the science of motion) on which all the sciences of moving machines are based, and they are also the basis for all the physical sciences that are based On motion, and thus Imam Al-Razi preceded Galileo and Newton by five centuries by revealing (the laws of attraction and motion).

8. Imam Al-Razi was a pioneer in the science of chemistry. He was the first to say that the metallic elements (gold, silver, lead, tin, copper, iron, and zinc) are melted, malleable bodies that are called today in the science of chemistry (moldable and expandable).
9. Imam Al-Razi was the first to discover the difference between (impact force and constant force), and he was aware of all the basic facts of sound. He was the first to say the theory of the arrival of light, and the occurrence of vision from visible objects to the eye, and explained how to see, and rejected the ray theory, which he believed was the reason for vision. The occurrence of vision, and he said: We do not see colors if objects are in a state of darkness.
10. In the field of medicine, he was the first to say that there is a relationship between the shape of the skull and mental abilities. He attributed individual differences to differences in brain conditions and defined them as three conditions. The validity of this theory was proven in the nineteenth century AD by a group of German scientists.

الهوامش

(1) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب المناقب –بَابُ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رقم (3535).
(2) الطبري، جامع البيان 1/1
(3) الزمخشري، الكشاف 1 /15، ابن عاشور، التحرير والتنوير1/19.
(4) الشاطبي، الموافقات 442/3.
(5) الشاطبي، الموافقات 3/ 348.
(6) الدخان: الآية 49.
(7) يُنظر: الامدي، الإحكام في أصول الأحكام 4//281، القرافي، الفروق 4//174، السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج 2//141.
(8) يُنظر: السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج 2/141.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير 1/28.
(10) الكهف: 19.
(11) يوسف: 72.
(12) أخرجه ابن ماجه في سننه –كِتَابُ الصَّدَقَاتِ- بَابُ الْكَفَالَةِ(2/804) رقم (2405)، وصححه محققه.
(13) النساء: 105.
(14)سبأ: 10.

(15) هذا قول الفضل بن عيسى الرقاشي، نسبه إليه: الجاحظ في البيان والتبيين 253/1، ويُنظر: ابن قتيبة،عيون الأخبار 197/2.
(16) الرازي، مفاتيح الغيب 490/9.
(17) ينظر: د. حسن حنفي، التراث والتجديد، صـ45.
(18) ينظر: نصر أبو زيد مفهوم النص في علوم القرآن، 97، 102، وما بعدها.
(19) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ275/10، الرازي ، المحصول في علم الأصول،31/1، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 384 ؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان, 11/4، ابن كثير، البداية والنهاية ، 66/13.
(20) ينظر: ابن أصيبعة)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 465.
(21) ينظر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، 242/7.
(22) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، دار الحرية، (بغداد/ 2010)،14.
(23) ينظر: مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر 7-24- 32.
(24) وهو من أئمة فقهاء الحنفية وأنه ابتكر طريقة في الجدال والمناظرة عرفت باسم الطريقة الرضوية. ينظر: د. فتح الله خليف، مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر، 7
(25) وهو أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن الفضل الرافعي، القزويني تفقه بنيسابور وهو من كبار اعلام الشافعي توفي: في شهر رمضان، سنة ثلاث وعشرين وستمائة مائة. ينظر :الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،97/21.
(26) ينظر: مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر 7-24- 32.
(27) المصدر نفسه 7- 24- 32.
(28) خوارزم شاه: هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان، كان صبوراً وشجاعاً، شهماً مغواراً، وكان فاضلاً، عالماً بالفقه والأصول، مكرَّماً للعلماء، يحبُّ مناظرتهم، ويتبرَّكُ بأهل الدين، مات سنة (617هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 143/22؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 88/13.
(29) هي مدينة أفغانية تقع غربي افغانستان يمر بها نهر هوريود https\ar.mwikipedla
(30) ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، 89/8.
(31) ينظر: محمد عبد بخيت القيسي، الآراء الفقهية للإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره مفاتيح الغيب، أطروحة دكتوراه، بإشراف: أ.م. د. محمود خلف جراد العيساوي، الجامعة الإسلامية، (بغداد /2008)، 28-31.
(32) ينظر: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت/ 1413 هـ /1993 م)، 43 / 214.
(33) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 66/13.
(34) ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية،66/2.

(35) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، 35؛ ثامر حمزة داود، المباحث الأصولية وتطبيقاتها عند الإمام الرازي في ضوء تفسير سورة البقرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة،(بغداد/ 1430هـ /2009م)، 50.

(36) وهو مفكر مصري ولد بالاسكندرية سنة 1905 اشتغل بمهنة الصيدلة دخل في الرهبنة في بلجيكا وحصل على الدكتوراه في الفلسفة واتجه الى الدراسات الاستشراقية توفي سنة 1993. https\ar.mwikipedla

(37) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، 35 -45؛ ثامر حمزة داود، المباحث الأصولية وتطبيقاتها عند الإمام الرازي في ضوء تفسير سورة البقرة ، 50-54.

(38) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، 302.

(39) ينظر: المصدر السابق،288.

(40) الرازي مفاتيح الغيب،430/21.

(41) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً،330

(42) الرازي مفسراً، 331-332.

(43) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً،332.

(44) الرازي: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: 10/1 ؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، 93/8.

(45) ينظر: الزركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤهُ الكلامية والفلسفية، دار الفكر، 39.

(46) الزركان، فخر الدين الرازي وآراؤهُ الكلامية والفلسفية، 30.

(47) المصدر نفسه، 31.

(48) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان 249/1 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام،)، 215/3 ؛ ثامر حمزة داود، المباحث الأصولية عند الإمام الرازي، رسالة ماجستير،26.

(49) ينظر: الرازي: فخر الدين بن عمر ، المباحث الشرقية في علم الإلهيات ، 302/1-305

(50) ينظر: المصدر السابق ، 287/2.

(51) ينظر: جريدة الرأي الاردنية مقال للكاتب عمر هلسه، (عدد يوم الاثنين 8 رمضان / 1429هـ - 8 / 9 / 2008م).

(52) ينظر: محمد عبد بخيت القيسي، الآراء الفقهية للإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره مفاتيح الغيب،62-64

(53) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 249/4.

(54) البحر المحيط في التفسير، 547/1.

(55) ينظر: محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً،193.

(56) ينظر: ادوارد كرنيليوس فانديك (ت 1313هـ)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، 1/ 115.

(57) ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان،249/4-250.

(58) ينظر:المجددون في الاسلام ،172.

(59) الرازي ، مفاتيح الغيب،274/14
(60) ينظر:د.محمد مسعود الصاقع، التجديد في التفسير القرآني، بحث ، ليبيا، 9.
(61) ينظر:الذهبي، التفسير والمفسرون، 309/2.
(62) ينظر:د.محمد مسعود الصاقع، التجديد في التفسير القرآني، 9.
(63) الرازي ، مفاتيح الغيب،21/1.

المصادر والمراجع

1. البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
2. الطبري: ابن جرير: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: حمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (1420 هـ /2000 م).
3. الزمخشري: أبو القاسم: محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، (بيروت/ 1407 هـ).
4. التونسي: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (تونس/1984 هـ)
5. ابن عاشور، التحرير والتنوير
6. الغرناطي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت790هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (1417هـ/1997م).
7. الآمدي: أبو الحسن، سيد الدين علي بن أبي علي الثعلبي (ت631هـ)، الاحكام في أصول الدين، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة
8. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ)، الإبهاج في شرح المنهاج ، ط2، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر،1413هـ
9. القزويني: ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللَّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، (1430 هـ / 2009 م).
10. الرازي: أبو عبد الله: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، (بيروت/ 1420 هـ) .
11. الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255ه)، البيان والتبيين ، دار الهلال، بيروت 1423ه.
12. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية / بيروت /1418ه.
13. حسن حنفي، التراث والتجديد، دار هنداوي ،2017.
14. الجزري: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت – لبنان/ 1417هـ /1997م.
15. الرازي: أبو عبد الله: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، المحصول، تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة،ط3،(1418 هـ / 1997 م).
16. اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،

17. الخزرجي: ابن أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.
18. السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر،1413هـ
19. د. محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، دار الحرية، (بغداد/ 2010)
20. الذهبي: أبو عبد الله: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، دار لحديث، (القاهرة /1427هـ/2006م).
21. محمد عبد بخيت القيسي، الآراء الفقهية للإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره مفاتيح الغيب، أطروحة دكتوراه، بإشراف: أ.م. د. محمود خلف جراد العيساوي، الجامعة الإسلامية، (بغداد /2008).
22. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت/ 1413 هـ /1993 م)
23. ثامر حمزة داود، المباحث الأصولية وتطبيقاتها عند الإمام الرازي في ضوء تفسير سورة البقرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة،(بغداد/ 1430هـ /2009م)
24. الزركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤهُ الكلامية والفلسفية، دار الفكر
25. جريدة الرأي الاردنية مقال للكاتب عمر هلسه، (عدد يوم الاثنين 8 رمضان / 1429هـ - 8 / 9 / 2008م).
26. .محمد مسعود الصاقع، التجديد في التفسير القرآني، بحث ، ليبيا،

Sources and references

1. Al-Bukhari: Muhammad Bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-jaafi, Sahih al-Bukhari, Investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, the House of the collar of survival, 1422 Ah.
2. Al-Tabari: Ibn Jarir: Muhammad Bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib Al-Amli, (d.310 Ah), collector of the statement on the interpretation of the Quran, investigation: Hamad Muhammad shaker, the founder of the message, (1420 Ah /2000 AD).
3. Al-zamakhshari: Abu Al-Qasim: Mahmoud bin Amr bin Ahmed, neighbor of Allah (d. 538 ah), the discoverer of the facts of the mysteries of downloading, i.3, the House of the Arab book, (Beirut/ 1407 Ah).
4. Tunisian: Ibn Ashur: Muhammad Al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad Al-Tahir (d. 1393 Ah), liberation and enlightenment, Tunisian publishing house, (Tunisia / 1984 Ah)
5. Ibn Ashur, liberation and enlightenment

6. Al-gharnati: Ibrahim bin Musa bin Mohammed Al-Lakhmi (d.790 Ah), approvals, investigation: Abu ubayda Mashhour bin Hassan Al-Salman, (1417 Ah/1997 ad).
7. Al-AMDI: Abu al-Hassan, Sayyid al-Din Ali ibn Abi Ali al-Tha'labi (d. 631 Ah), rulings on the origins of religion, investigation: Hassan Mahmoud Abdel Latif, Cairo
8. Al-Subki, Taj al-Din Abdul Wahab bin Taqi al-Din (d.771 ah), the delight in explaining the curriculum, Vol. 2, investigation: d. Mahmoud Mohamed Al-tanahi Dr. Abdul Fattah Mohammed al-Hilu, Hijr House, 1413 Ah
9. Al-Qazwini: Ibn Majah: Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid (d.273 Ah), Sunan Ibn Majah, investigation: Shoaib Al - Arnout - Adel Murshid - Muhammad Kamil Qara Balli-Abdul Latif Harzallah, House of the universal message, (1430 Ah / 2009 ad).
10. Al-Razi: Abu Abdullah: Muhammad Bin Omar Bin Al-Hassan bin al-Hussein al-Timi (d. 606 Ah), keys of the unseen, floor 3, House of revival of Arab heritage, (Beirut/ 1420 Ah).
11. Al-jahiz: Amr ibn Bahr Ibn Mahbub al-Kanani (d. 255 ah), Al-Bayan and Al-tabiyyin, Dar Al-Hilal, Beirut 1423 Ah.
12. Al-dinouri, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim Ibn Qutayba, Oyoun Al-Akhbar, House of scientific books / Beirut /1418 Ah.
13. Hassan Hanafi, heritage and renewal, Hindawi House ,2017.
14. Al-Jaziri: Ibn al-Athir, Ali ibn Abi Al-Karam Muhammad ibn Muhammad al-Shaybani (d.630 ah), al – Kamil in history, investigation: Omar Abdus Salam tadmoury, the House of the Arab book, (Beirut-Lebanon/ 1417 Ah /1997 ad.
15. Al-Razi: Abu Abdullah: Muhammad Bin Omar Bin Al-Hassan bin al-Hussein al-Timi (d.606 Ah), harvest, investigation: d. Taha Jaber Fayad Al-Alwani, founder of the message, i. 3, (1418 Ah / 1997 ad).
16. The young man, the mirror of heaven and the lesson of mindfulness in knowing what is considered one of the accidents of time‹
17. Al-Khazraji: Ibn asaiba Ahmed bin Al-Qasim bin Khalifa Bin Yunus (d. 668 ah), the eyes of the news in the layers of doctors, an investigation: Dr. Nizar Rida, the House of the library of life – Beirut.

18. Al-Sobki: Taj al-Din Abdul Wahab bin Taqi al-Din (d.771 ah), the Great layers of Shafi'i, i. 2, investigation: d. Mahmoud Mohamed Al-tanahi Dr. Abdul Fattah Mohammed al-Hilu, Hijr House, 1413 Ah
19. Dr. Mohsen Abdul Hamid, Al-Razi interpreter, Freedom House, (Baghdad/ 2010)
20. Al-dhahabi: Abu Abdullah: Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman bin qaimaz (d. 748 Ah), biography of the flags of the nobility, Dar lahadith, (Cairo /1427 Ah/2006 ad).
21. Muhammad Abdul Bakhit al-Qaisi, the Fiqh views of Imam Fakhr al-Din al-Razi through his interpretation of the keys of the unseen, PhD thesis, supervised by: A.M. Dr. Mahmoud Khalaf Jarad al-Issawi, Islamic University, (Baghdad /2008).
22. Al-dhahabi: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin qaimaz (d. 748 Ah), history of Islam, investigation: Omar Abdus Salam Al-tadmouri, i. 2, Arab Book House, (Beirut / 1413 Ah / 1993 ad)
23. Thamer Hamza Daoud, fundamentalist investigations and their applications at Imam Razi in the light of the interpretation of Surah Al-Baqarah, master thesis, Islamic University, Faculty of Sharia, (Baghdad/ 1430 Ah / 2009 ad)
24. Al-zarkan, Mohammed Saleh, Fakhr al-Din al-Razi and his verbal and philosophical views, Dar Al-Fikr
25. The Jordanian newspaper Al-Rai is an article by the writer Omar halsa, (issue on Monday, Ramadan 8/1429 Ah-8/9/2008).
26. Mohammed Massoud Al-SAQA, innovation in Quranic interpretation, research, Libya،